العرب
الثلاثاء 2021/05/11
السنة 43 العدد 12057

مركز للسجاد في مصر يحوّل الفقراء إلى فنانين

كورونا يهدد بيع لوحات السجاد اليدوي والأمل على معرض أريزونا

أن يصنع الفقر إنسانا يعتمد على نفسه في كسب رزقه فذلك هو الأمر العادي، لكن مركز واصف للسجاد في الجيزة يصنع من أهل الريف الذين تخلوا عن الزراعة بسبب قلة مواردها فنانين يصنعون من السجاد لوحات ذات مواضيع فنية تنفرد عن بعضها البعض، لكنه اليوم بات مهددا بسبب وباء كورونا وتوقّف حركة البيع.

رضوان نصر
كاتب مصري

أياد مبدعة

القاهرة - لا يمثل مركز ويصا واصف بقرية الحرّانية في الجيزة المجاورة للقاهرة منفذا لبيع السجاد فقط، لكنه مصدر رزق وأكاديمية فنية لتصنيع لوحات من السجاد بأيادي سيدات القرية اللاتي تركن أعمال الحقل والفلاحة واحتضنهن المركز وكبرن وأصبحن فنانات، باحثات عن أحلامهن عبر خيوط سجادة.

ويصا لصناعة لوحات السجاد اليدوي من النسيج العديد من الزبائن حول العالم، وتكمن وراء السجاجيد قصص إنسانية لسيدات قرويات تمثل خيوط النسيج لديهن مصدر حياة وليست فقط بضاعة أو مصدر رزق.

يضم المركز الذي تأسس منذ سبعة عقود شريحتين الأولى، 20 سيدة التحقن به وهن أطفال وتعلمن حرفة إبداع لوحات السجاجيد فيه، ، والثانية أطفالهن ويمثلون الجيل الجديد من مبدعي السجاجيد بالمركز.

يعاني المركز من تداعيات الإغلاق منذ بداية جائحة كورونا، حيث أغلق لشهور بعد أن غاب عنه الزبائن الذين كانوا يفدون إليه من مختلف دول العالم بحثا عن الفن الأصيل ليصبح مهددا بالإغلاق الكامل والنهائي نتيجة غياب التمويل.

وينتظر أصحاب المركز والعاملون فيه قبلة الحياة ممثلة في معرض منتظر لبيع السجاد في أريزونا في سبتمبر المقبل.

ويضم المركز عددا من السجاجيد على شكل لوحات فنية جميعها مصنعة يدويا، وتستغرق صناعة السجادة حوالي سبعة أشهر من العمل الشاق بأيدي العاملات.

جميع السجاجيد تصنع من خام صوف الغنم الطبيعي، وتتم صباغتها بألوان طبيعية مستخرجة من نباتات مثل الفوة الهندي الذي يعطي أصباغا حمراء زاهية، وتأتي الصبغة الصفراء من الزعفران، والزرقاء من شجرة النيلة.

أوشكت نادية سلطان (48 عاما) إحدى القرويات والفنانات العاملات بالمركز والتي التحقت للعمل به في العاشرة من عمرها، على الانتهاء من لوحة "فونتانا وزهور البرتقال" التي بدأتها منذ سبعة أشهر مضت.

ستشارك نادية بلوحتها في معرض أريزونا المنتظر، ويسهم العائد المادي المتوقع من عمولتها في البيع في سداد جزء من ديونها التي استدانتها لتجهيز ابنتها الشابة، وتنتظر بيع السجادة للمساهمة مع عريسها في حجز قاعة عرسها المنتظر مع حلول عيد الأضحى القادم.

وتنسج سيدة صدقي نسيجها لسجادة أشجار الموز، وهي السجادة رقم 30 التي أبدعتها منذ عملت بالمركز عام 1986، وهي في التاسعة من عمرها، عندما فقدت والديها في حادث سيارة وكفلتها خالتها، فأرادت الصغيرة نسيان آلام الفقد والمساهمة في مصروفات المنزل والتحقت بالمركز لتجد السلوى في صناعة السجاد.

يختلف الأمر بالنسبة إلى سعاد محمد التي التحقت بالمركز بعد أن توفى زوجها بعد عام واحد من زواجها، وهي في سن الـ18 عاما، فاضطرت إلى التوقف عن أعمال الحقل التي كانت مصدر رزق لأسرتها، بعد أن قامت ببيع الجاموسة الوحيدة التي كانوا يمتلكونها، لتقسيم ثمنها على الورثة.

لم تتوقع سعاد أن التحاقها بالمركز لتتعلم فن صناعة السجاد على النول كمصدر رزق للإنفاق على ابنتها الوحيدة، سوف يتحول إلى قصة عشق وارتباط بهذه الحرفة، وممارستها كهواية ممتعة.

وتعلّق نوال شعبان آمالها على إعادة الحركة التجارية للمركز حتى تنجح في توفير البضاعة اللازمة لافتتاح محل منظفات ليكون مصدرا للدخل لابنها الوحيد الذي أنهى تعليمه الجامعي ولم يجد وظيفة، ومن ثم فهي تعمل بجد واجتهاد للانتهاء من لوحاتها من السجاجيد لتفوز بعمولة بيعها.

وتضطر الظروف بعض السيدات في المركز إلى العمل مثل نحمده مسعود التي عانت اليتم منذ طفولتها، فأصبحت هي العائل الوحيد لأسرتها وهي لم تزل طفلة، فالتحقت بالمركز وتعلّمت فن إبداع السجاد، وتقاضت عنه مكافأة ساعدتها على مواجهة أعباء الحياة.

بالمركز فنانات وبناتهن اللاتي علّمهن المهنة بعد أن ودعن جميعا أعمال الحقل بسبب ارتفاع أسعار الأسمدة وعدم جدوى بيع المحاصيل الزراعية، فاضطرت مسعود إلى بيع قطعة الأرض التي كانت تملكها، واحترفت هي وأطفالها الثلاثة فن صناعة السجاد.

وتتواجد نصرة ياسين الخمسينية التي ودعت العمل الفلاحي لعشقها لإبداعها في صناعة السجاد من الألف إلى الياء، بداية من تصنعيها على النول ثم صباغتها بألوان طبيعية من النباتات.

كل لوحة من السجاد تحمل عنوانا معيّنا، مثل لوحة بركة البط، ولوحة النخيل، وحصاد القطن، وشجر الأكاسيا، وجميع اللوحات تبدأ مقاساتها من عرض 120 سم وطول 200 سم، ويصل بعضها إلى ثلاثة أمتار طولا وعرضا.

> **وراء السجاجيد تكمن قصص إنسانية لقرويات تمثل خيوط النسيج لديهن مصدر حياة وليست فقط مصدر رزق**

وقال إكرام نصحي مدير المركز لـ"العرب"، إنه تأسس عام 1950على يد المهندس المعماري ويصا واصف الذي تعلم الفنون الجميلة في باريس، واختار مركز الحرّانية ليكون قريبا من القاهرة، ثم انتقى عددا من الأطفال كانت أقصى أنشطتهم اللعب بالطين في الحقول، ومنحهم الفرصة كاملة لتعلّم صناعة النسيج على النول وترك لهم حرية إبداع اللوحات.

وأوضحت سوسن واصف ابنة المعماري الراحل لـ"العرب"، أن الأطفال في البداية أتلفوا العشرات من الخامات، إلا أن والدها لم يتخل عنهم حتى أجادوا احتراف صناعة السجاد اليدوي، وأصبحت أعمالهم تعرض وتباع في أماكن مختلفة من العالم .

وبات مركز الحرّانية للفنون وصناعة السجاد من أشهر مدارس صناعة السجاد، وبيعت واقتنيت منها لوحات عديدة عقب عرضها في إنجلترا وسويسرا والسويد والولايات المتحدة وكندا.

تحول المركز إلى مقر لعائلة ويصا واصف منذ وفاته عام 1974، وتتولى ابنتاه عملية تعليم النول والرسم على القماش بالشمع للأطفال لينتجوا أجمل السجاجيد التي باتت لوحات فنية ناطقة بلسان أصحابها.

أنامل صياغة الفضّة في المغرب تقاوم الركود

تزنيت (المغرب) - تفننت أنامل الصائغة التقليدية بتزنيت في صياغة الفضة، المعروفة عند المغاربة "بالنقرة"، وفق منهجية تقليدية توارثتها عن الأجداد، إذ لم تثنها جائحة كورونا عن مواصلة الإبداع في صياغة أجود المنتجات.

فمدينة تزنيت العريقة، الواقعة حوالي 90 كلم جنوب أكادير، على الطريق المؤدية إلى مدينة كلميم باب الصحراء، اشتهرت على مستوى المغرب بصياغة الحليّ الفضيّة بمختلف أشكالها وتجلياتها الثقافية العميقة، لتنجب أنامل نسائية قادرة على تطويع هذا المعدن الثمين إلى منتجات فنية مميزة.

> **الصانع التقليدي المغربي يتأثر ببيئته على المستوى المعماري والطبيعي ويستقي منها الزخارف والرموز التي يزيّن بها الحليّ**

وازداد الإقبال على الحليّ الفضيّة بعد أن هجرت الشابات الحليّ الذهبيّة، مما يؤمن لهن الظهور بمظهر جميل وبتكلفة أقلّ، بينما لا تستطيع المرأة التي تشتري حليّا من الذهب والمعادن النفيسة استعمالها دوما، بسبب تغير الموضة.

وتحكي الشابة صفيّة قصتها مع الحليّ الفضيّة قائلة، إنها كانت تتذمر في صباها من ارتداء هذه الحليّ بسبب وزنها الثقيل، لكن نظرتها اليوم تغيرت، إذ أدركت قيمتها المعنوية والوجدانية، فهي تمثل لغة مشتركة تجمعها بمن ينتمون إلى نفس ثقافتها، وبها يخاطبون العالم من حولهم.

وعندما تضع المرأة المغربية هذه الحليّ، فهي لا تضعها للزينة فقط، بل تفعل ذلك للتعبير عن ثقافتها ووفاء لذاكرة الأمهات والجدات.

ويرتدي المغاربة حليّا من الفضة لأسباب أخرى غير الزينة حيث يسود الاعتقاد بأنها بطريقة أو بأخرى سوف تحمي من يرتديها، بل وستجلب الحظ السعيد والفأل الحسن، كما تساعد على علاج أمراض الروماتيزم والأعصاب وتطرد الجن.

ورغم الظرفية الصحية الصعبة التي يشهدها العالم، ومن بينه المغرب، بسبب تفشي جائحة كورونا، إضافة إلى تطوّر في صياغة الفضة، فإن أنامل النسوة بتزنيت لا تزال تبدع، متحدية الإكراهات، في تشكيل أنواع الحليّ من "خواتم، وأقراط وقلائد وأساوروغيرها"، محافظة في الوقت ذاته على عراقة وأصالة الحليّ المغربية الأمازيغية.

واختارت الشابة ليلى الأبيض مهنة صياغة الفضة بعد أن دخلت قسم الدراسات العربية في الجامعة، أن تلتحق بالمعهد المتخصص في التكنولوجيا التطبيقية، لتدرس في قسم "الحليّ الفضيّة"، وتتخرج منه عام 2012.

تقول "كبرت مع هذه الحرفة لأن أبي وأعمامي وقبلهم أجدادي، كانوا ولا يزالون يحترفونها، ورغم أنني فتحت عينيّ عليها، إلا أنني اخترت أن أدرس وأصقل معرفتي من خلال الدراسة والتخصص في شعبة الحليّ الفضيّة".

وتعد "الخلالة" أشهر الحليّ الأمازيغية على الإطلاق، وهي عبارة عن مشبك فضيّ مثلث الشكل تستعين به المرأة الأمازيغية، كي تثبت ثوبها على صدرها، وقد صارت أيقونة الثقافة المغربية أخيرا.

ويقول الباحث في التراث المغربي عبدالسلام أمارير، "إن هذا الشكل المسنن يميز معمار المنطقة"، ولذلك يخلص الباحث إلى أن الصانع التقليدي المغربي يتأثر ببيئته على المستوى المعماري والطبيعي ويستقي منها الزخارف والرموز التي يزين بها الحلي.

رموز التراث والثقافة

وأكدت أمينة اخربوش وهي نموذج للمرأة التي أبدعت في صياغة الفضة بتزنيت، أنها ورثت هذه الحرفة عن الآباء والأجداد الذين اشتغلوا طوال سنين على تشكيل هذا المعدن، مشيرة إلى أنها عملت على تطوير حرفتها ضمن قالب محلي يلائم الأذواق.

وأضافت، في حديث لوكالة المغرب العربي للأنباء، أنها آثرت البقاء في هذه الحرفة حتى بعد زواجها، مشيرة إلى أنها انخرطت في تأسيس "تعاونية تيفلوت نقورت"، وهي تعاونية متخصصة في صياغة الحليّ الفضيّة التقليدية.

وتستعمل الفضة كذلك في صناعة الأواني وديكورات المنزل، حيث تُطلى هذه المصنوعات بماء الفضة، وتشكل أباريق الشاي والقهوة أكثر الأواني التي يحرص المغاربة على اقتنائها وتزيين البيت بها، إضافة إلى الصحون وصناديق حفظ المجوهرات، ويختلف سعرها بحسب جودة صنعها ونوع الفضة المستعملة ومدى نقاوتها.

واستحضرت أمينة البعد الجمالي وأدوات الزينة، التي ميزت الثقافة المحلية، والتي لا تزال تجود بها أنامل تلك النسوة بالتعاونية التي انخرطت في تأسيسها، مثل "إسرسن" (قلادة الرأس)، و"تيزرزيت" (الرمز الأمازيغي المحلي) و"النبايل" و"الخواتم"، و"الخلالة" المزينة بالنقود القديمة، والقلادة المرصعة بالأحجار الكريمة وغيرها من الحليّ التي ارتبطت بزينة المرأة.

وذكرت أن هذه التعاونية لا تزال تشتغل منذ تأسيسها، بالرغم من الإكراهات المرتبطة بانتشار فايروس كورونا، من أجل الإبداع والحفاظ على هذا الموروث الثقافي في انتظار تعافي القطاع السياحي الذي يرتبط به تسويق المنتوج بشكل كبير.

من جانبه، أوضح عبدالحق أرخاوي رئيس جمعية الصياغين بتزنيت، أن التميز الذي تعرفه صياغة الفضة بهذه المدينة يرجع إلى عدة عوامل من بينها عراقة هذه الحرفة بالمنطقة، وتواجد اليهود المغاربة من أصول أمازيغية الذين أتقنوا هذه الحرفة وعلّموها للأبناء والأحفاد من المسلمين واليهود، الذين تعايشوا في هذه المدينة في جوّ ساده الود والتسامح.

وأضاف أن المهارة في صياغة الفضة بتزنيت تتجسد في صياغة الحليّ الفضية بجميع أشكالها مثل "السلك الفضي"، و"الطلاء الزجاجي"، و"الترخام" و"الترصيع".

وذكر أن المرأة الأمازيغية، لعبت أيضا دورا كبيرا في الحفاظ على هذا الموروث الثقافي، مشيرا إلى أن المرأة لا تقل مهارة عن شقيقها الرجل في صياغة هذا المعدن وتحويله إلى أشكال متميزة.

وتبقى صياغة الفضة بتزنيت، بالرغم من الظروف الحالية، من بين الحرف الأصيلة التي تميّز هذه الربوع الغالية من المملكة، نظرا لعراقتها وخبرة ممتهنيها.